



(٤)

متن كشف الشبهات

اعلم -رحمك الله- أن التوحيد هو إفراد الله -سبحانه- بالعبادة، وهو دين الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ، فَأَوْلَهُمْ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ: وَدَا، وَسَوَاعَا، وَيَعُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا.

وَأَخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُورَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى قَوْمٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيُحْجُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللهُ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَيَبْنُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمْ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ؛ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، يُجِدُّ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَيُنَبِّئُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالْإِعْتِقَادَ مُحْضٌ حَقُّ اللهِ، لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لَّا لِلْمَلِكِ مُقَرَّبَ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمَا، وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مُقَرَّبُونَ أَنَّ اللهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي إِلَّا هُوَ، وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهَا كُلُّهُمْ عِبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْهَدُونَ لَهَا؛ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى:



﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (يونس: ٣١)، وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُرُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُرُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٩). وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقَرَّرُونَ هَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: الْاِعْتِقَادَ، كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- لَيْلاً وَنَهَاراً، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صِلَاتِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رُجُلًا صَالِحًا مِثْلَ اللَّاتِ، أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى، وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ وَأَنْ أَلْمَسِجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨)، وَكَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ (الرعد: ١٤).

وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّهَا لِلَّهِ. وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلَائِكَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ أَوْ الْأَوْلِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ، هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ الْإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يَقْصِدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، سِوَاءَ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جَنِّيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتَ لَكَ.

وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِالْإِلَهِ مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ، فَاتَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكَفَّارُ الْجُهَالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّعْلُقِ بِهِ، وَالْكَفْرُ بِمَا يُعْبَدُ



ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

مِنْ دُونِهِ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالُوا: ﴿أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحَدًّا إِنَّ هَذَا شَيْءٌ مُجَابٌ﴾ (ص: ٥).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَالَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَالُ الْكُفْرَةِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلْفُظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لَشَيْءٍ مِنَ الْمَعْنَى، وَالْحَاقِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا. لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ. فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالٍ الْكُفَّارِ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨)، وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبَ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا؛ أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأولى: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ. فَيَذَلُكَ فَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨).

وَأَفَادَكَ -أَيْضًا: الْخَوْفَ الْعَظِيمَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةِ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا، وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يَعْدُرُ بِالْجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا، وَيَظُنُّ أَنَّهَا تَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا كَانَ يَقَعْلُ الْكُفَّارُ، خُصُوصًا إِنْ أَهْمَكَ اللَّهُ تَعَالَى مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى -مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ- أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨)؛ فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ حِرْصُكَ وَخَوْفُكَ عَلَى مَا يُخْلِصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام: ١١٢).

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (غافر: ٨٣).

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَصَاحَةِ وَعِلْمِ وَحُجَجٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ لَكَ سِلَاحًا تَقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدِّمُهُمْ لِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا تَبَيِّنُهُمْ مِنْ

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ (الأعراف: ١٦ - ١٧). وَلَكِنْ؛ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ، فَلَا تَخْفَ، وَلَا تَحْزَنَ ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿ (النساء: ٧٦).

وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ (الصافات: ١٧٣).

فَجُنِدُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُؤَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ، وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ (النحل: ٨٩)، فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبَيِّنُ بَطْلَانَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿ (الفرقان: ٣٣).

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَأَنَا أَذْكَرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامِ احْتِجَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا. فَتَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٌ، وَمُفْصَّلٌ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ:

فَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿ (آل عمران: ٧).

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاولئك الذين سَمَى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ».

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ (يونس: ٦٢)، وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ فَجَاوِبُهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَقْرُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿ هَتُّؤُلَاءِ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿ (يونس: ١٨)، هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيْنَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ. وَمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ



ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

ﷺ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ أَقَطُّعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقِضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَسْتَهِنِ بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥).

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمَفْصَلُ:

فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَمْ اعْتَرِضُوا كَثِيرَةً عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يُصَدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَضَلًّا عَنِ عَبْدِ الْقَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَنَا مُدْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَمْ جَاءَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ.

فَجَاوَبَهُ بِمَا تَقَدَّمَ: وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقَرَّرُونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقَرَّرُونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لَا تَدْبِرُ شَيْئًا، وَإِنَّا أَرَادُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ. وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحْهُ.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ لَاءَ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِيْمَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الْأَصْنَامِ؟! أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟! فَجَاوَبَهُ بِمَا تَقَدَّمَ: فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِ وَفِعْلِهِمْ بِمَا ذَكَرَ؛ فَادَّكَّرَ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ: مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْوَالِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

وَيَدْعُونَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ (المائدة: ٧٥-٧٦).

وَادَّكَّرَ لَهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كَرِهْنَا لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُونَهُ ﴿٤١﴾﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٠-٤١﴾. وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦).



جامع المتون

فَقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَرَ مَنْ قَصَدَ الْأَصْنَامَ، وَكَفَرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ الْمُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَاجْأَبُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣).

وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨).

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبُهَةُ الثَّلَاثُ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَحَّهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهَمْتَهَا فَهَمًّا جَيِّدًا؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ، وَدَعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقَرُّ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ؛ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيْنَ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ. فَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا فَبَيْنَهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥).

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا عِبَادَةٌ لِلَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. وَالِدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَزْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَيْلًا وَنَهَارًا خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرُهُ، هَلْ أَشْرَكَتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرُهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنَّهُ يَقُولُ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢) وَأَطَعْتَ اللَّهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ: نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا، هَلْ أَشْرَكَتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

وَاقُلْ لَهُ أَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالْإِلْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهَمُّ مُقَرَّنُونَ





ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

أَنَّهُمْ عِبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ، وَالتَّجَوُّوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ؟ وَهَذَا ظَاهِرٌ جَدًّا.

فَإِنْ قَالَ: أَتَنكَّرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟ فَقُلْ: لَا أَنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبْرَأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّفَاعُ الْمَشْفُوعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٤٤)، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨)، وَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا التَّوْحِيدَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥).

فَإِذَا كَانَتْ الشَّفَاعَةُ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ - تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، فَأَطْلُبْهَا مِنْهُ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفَعْنِي فِي.....، وَأَمْثَالِ هَذَا.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَى الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ.

فَاجْأَبُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنِ هَذَا، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)،

فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَشْفَعَ نَبِيُّهُ فِيكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. (الجن: ١٨).

وَأَيْضًا، فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ وَالْأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنْ اللَّهُ أَعْطَاهُمْ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا - بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - حَاشَا وَكَلَّا - وَلَكِنَّ الْإِلْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشَرِكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقَرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشَّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزُّنَا، وَتُقَرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تَبْرِيءُ نَفْسِكَ مِنَ الشَّرْكَ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟

أَمْ كَيْفَ يُحْرِمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذَكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَا تَعْرِفُهُ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُحْرِمُهُ، وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟

فَإِنْ قَالَ: الشَّرْكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ. وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ.





فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَخْشَابَ وَالْأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاها؟ فَهَذَا يَكْذِبُهُ الْقُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: هُوَ مِنْ قَصْدِ خَشْبَةٍ أَوْ حَجْرًا أَوْ بِنْيَةٍ عَلَى قَبْرِ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقْرَبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنَّا بَرَكَتَهُ، أَوْ يُعْطِينَا بِرَكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَى الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا.

فَهَذَا أَقْرَبُ أَنْ فَعَلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ؛ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَيَقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: «الشُّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ» هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشُّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى

الصَّالِحِينَ، وَدُعَاءِهِمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟ فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: مَنْ كَفَرَ مِنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ،

أَوْ عِيسَى أَوْ الصَّالِحِينَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشُّرْكُ

الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشُّرْكُ بِاللَّهِ؟ فَسِّرْهُ لِي.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ.

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَّهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟!!

وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ بَيَّنَّتْ لَهُ الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشُّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْإِثْمَانِ، وَأَنَّهُ

الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا،

وَيَصِيحُونَ فِيهِ، كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحْدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾

(ص: ٥).

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّا يَكْفُرُونَ لَمَّا قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ؛ فَإِنَّا لَمْ

نَقُلْ: عَبْدُ الْقَادِرِ ابْنُ اللَّهِ، وَلَا غَيْرُهُ.

فَاجْأوبُ: أَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَى اللَّهِ كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝

(الإخلاص: ١-٢).



ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

وَالْأَحَدُ: الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ.

وَالصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ.

فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحِدِ السُّورَةَ.

وَقَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ (المؤمنون: ٩١)، فَفَرَّقَ بَيْنَ

النُّوعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا. وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ

بَيْنَ وَبَيْنَ غَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ، وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدَعَاءِ اللَّاتِ مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللَّهِ، وَالَّذِينَ

كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنَّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْعُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ

وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿ الْآيَاتُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس: ٦٢).

فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنْ لَا يُعْبُدُونَ، وَنَحْنُ لَمْ نُنْكِرْ إِلَّا عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ وَشُرَكَاهُمْ مَعَهُ. وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ

عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالْإِفْرَارُ بِكَرَامَتِهِمْ.

وَلَا يَجْحَدُ كِرَامَاتِ الْاَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ، وَدِينُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ صَلَائَتَيْنِ،

وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا «كَبِيرَ الْاِعْتِقَادِ» هُوَ الشُّرْكُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ،

وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ.

فَاعْلَمْ أَنَّ شُرْكَ الْاَوْلَيْنِ أَخَفُّ مِنْ شُرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْاَوْلَيْنِ لَا يُشْرِكُونَ، وَلَا يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْاَوْلِيَاءَ وَالْاَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي الرِّخَاءِ، وَأَمَّا

فِي الشَّدَةِ فَيَخْلِصُونَ لِلَّهِ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا جَنَّكُمْ

إِلَى الْبَرِّ اَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْاِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٧).

وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ اَرَأَيْتُمْ إِنْ اَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ اَوْ اَتَيْتُمْ السَّاعَةَ اَغْيَرَ اَللَّهُ تَدْعُونَ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾

بَلْ اِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ اِلَيْهِ اِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٠-٤١)، وَقَوْلِهِ:

﴿ وَاِذَا مَسَّ الْاِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا اِلَيْهِ ثُمَّ اِذَا حُوِّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو اِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ

اَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا اِنَّكَ مِنْ اَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (الزمر: ٨)، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَاِذَا غَشِيَهُمْ



مَوْجٌ كَأُظْلَلٍ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٣٢﴾ (لقمان: ٣٢).

فَمَنْ فَهَمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرِّ وَالشَّدَةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُسَوِّنُ سَادَاتِهِمْ - تَبِينُ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شَرِكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشَرِكِ الْاُولَيْنِ.

وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهَمًّا رَاسِخًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْاُولَيْنِ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْاسًا مُقْرِبِينَ عِنْدَ اللَّهِ: إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا اَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً. اَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا اَوْ أَحْجَارًا مُطِيعَةً لِلَّهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُوهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمْ الْفُجُورَ: مِنَ الزُّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، اَوْ الَّذِي لَا يَعْصِي مِثْلَ: الْخَشْبِ وَالْحَجَرِ - أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فَسَقَهُ وَفَسَادَهُ، وَيَشْهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَحُ عُقُولًا، وَأَخْفُ شُرَكَاءَ مِنْ هَؤُلَاءِ - فَاعْلَمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُبُهَةٌ يوردونها عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبُهِهِمْ، فَاصْغِ سَمْعَكَ لْجَوَابِهَا.

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَكْذِبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيَكْذِبُونَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ لَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ. وَنُصَلِّي، وَنُصُومُ. فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ اَوْلَيْكَ؟

فَاجْأِبْ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ، وَكَذَبَهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ؛ كَمَنْ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ، وَجَحَدَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، اَوْ أَقْرَبَ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ، وَجَحَدَ وَجُوبَ الزَّكَاةِ، اَوْ أَقْرَبَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الصَّوْمَ، اَوْ أَقْرَبَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْحَجَّ.

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أَنْاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ؛ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧).

وَمَنْ أَقْرَبَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمَهُ وَمَالَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) أَوْلَيْكَ هُمْ الْكُفْرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ (النساء: ١٥٠-١٥١).



ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَخَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ الْكَافِرُ حَقًّا، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مَا ذَكَرَ، زَالَتْ هَذِهِ الشُّبُهَةُ.

وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا. ويُقال أيضاً: إذا كنت تُقرُّ أن من صدَّق الرسول ﷺ في كلِّ شيءٍ وجحد وجوب الصلاة أنه كافرٌ حلالُ الدَّمِ والمالِ بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكلِّ شيءٍ إلاَّ البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدّمنا.

فمعلومٌ أنَّ التَّوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظمُ من الصلاة والزكاة والصوم والحجِّ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكلِّ ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التَّوحيدَ الذي هو دينُ الرُّسلِ كلِّهم لا يكفر؟! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل! ويُقال أيضاً: هؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويؤذنون ويصلُّون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسليمة نبي.

قلنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسَانَ أو يوسفَ، أو صحابياً، أو نبياً إلى مرتبة جبارِ السموات والأرض؟!

سبحان الله! ما أعظم شأنه! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٩).

ويقال أيضاً: الذين حرَّقهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ -رضي الله عنه- بالنارِ كلُّهم يدعون الإسلام، وهم من أصحابِ عليٍّ -رضي الله عنه- وتعلَّموا العلمَ من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسفَ وشمسانَ وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضرُّ، والاعتقاد في عليٍّ بن أبي طالبٍ يكفر؟!

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغربَ ومصرَ في زمانِ بني العبَّاسِ، كلُّهم يشهدون أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويدعون الإسلام، ويصلُّون الجمعةَ والجماعةَ، فلمَّا أظهروا مخالفةَ الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم، وأنَّ بلادهم بلادُ حربٍ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.



وَيَقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ الْاُولُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَى الْبَابِ الَّذِي ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ حُكْمِ الْمُرتَدِّ)، وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ؟ ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكْفَرُ، وَيُجِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالُهُ، حَتَّىٰ إِنْهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ بَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلَ: كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ؛ أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٤)، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهُ كَفَرَهُمْ بِكَلِمَةٍ، مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيَزُكُّونَ، وَيَحْجُونَ، وَيُوحِّدُونَ؟!!

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَيْلَهِ وَأَيْنِيهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥-٦٦). لَا تَعْتَذِرُوا فَاذْكُرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦).

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَحَ اللَّهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَرْحِ.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبُهَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكْفَرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْسَاءً يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ.

وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا مَا حَكَى اللَّهُ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ؛ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وَقَوْلُ أَنَسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ)، فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾.

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبُهَةٌ يُدَلُّونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ:

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ لَمْ يَكْفُرُوا.

فَأَجَابُوا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُم النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يَطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ أَنَّ الْمُسْلِمَ، بَلِ الْعَالَمُ قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشَّرِكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا، فَتَفِيدُ التَّعَلُّمَ



ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

والتَّحَرُّزُ، وَمَعْرِفَةٌ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: (التَّوْحِيدُ فَهَمَّنَاهُ)؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ وَمَكَاثِدِ الشَّيْطَانِ. وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كُفْرٍ، وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَنَبَهُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ - أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ، فَإِنَّهُ يُغَلِّظُ عَلَيْهِ الْكَلَامَ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبُهَةٌ أُخْرَى يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ قَتَلَ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ لَهُ: «أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟!». وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَأَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكُفِّ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ: أَنَّ مَنْ قَالَهَا لَا يَكْفُرُ، وَلَا يُقْتَلُ، وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ. فَيَقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجَهَالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَاهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ الْإِسْلَامَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَقَهُمُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ. وَهَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ مُقْرُونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كُفْرًا، وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كُفْرًا وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَهَا.

فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فِرْعَاوْنَ مِنَ الْفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟! وَلَكِنْ أَعْدَاءُ اللَّهِ مَا فَهَمُوا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ.

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ؛ فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَى الْإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَى الْإِسْلَامَ إِلَّا خَوْفًا عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ؛ وَجَبَ الْكُفُّ عَنْهُ حَتَّى يُتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (النساء: ٩٤) أَي: فَتَبَيَّنُوا.

فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُجِبُّ الْكُفُّ عَنْهُ وَالتَّثْبُتُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ قَتَلَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثْبُتِ مَعْنَى.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ وَأَمْثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ: أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ وَالْإِسْلَامَ وَجَبَ الْكُفُّ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.



وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالَ: «أَقْتَلْتُهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟!»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ لَئِنْ أَدْرَكْتُمُهمْ لِأَقْتَلْتَهُمْ قَتْلَ عَادٍ» مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلًا وَتَسْبِيحًا، حَتَّى إِنْ الصَّحَابَةُ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَلَا كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الْإِسْلَامِ، لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ. وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦) وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجَّجُوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ. وَهُمْ شُبُهَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ: مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَعِينُونَ بِأَدَمَ، ثُمَّ بَنُوْحَ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شَرْكَاءَ.

وَالْجَوَابُ أَنَّ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ؛ فَإِنَّ الْاسْتِغَاثَةَ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُكْرَهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِالَّذِي مِنْ شِعْبِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص: ١٥).

وَكَأَيْسَرِ شَيْءٍ الْإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَشْيَاءٍ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ. وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ: فَاسْتِغَاثَتُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ.

وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تَأْتِي عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٌّ يُجَالِسُكَ، وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، وَتَقُولُ لَهُ: ادْعُ اللَّهَ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ. وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ، فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ، بَلْ أَنْكَرَ السَّلْفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفْسَهُ ﷺ!

وَهُمْ شُبُهَةٌ أُخْرَى: وَهِيَ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الْمَوَاءِ. فَقَالَ لَهُ: أَلَا كَلَّ



ثانياً/ متون العقيدة والتوحيد

حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَا إِلَيْكَ فَلَا.

قَالُوا: فَلَوْ كَانَتْ الِاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شَرِكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ؟
فَاجْلِبُوبُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الْاَوَّلَى، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: ٥). فَلَوْ أَدَانَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ، وَيَلْقِيهَا فِي الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ
عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجْلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَى رَجُلًا مُحْتَاجًا؛ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَضَهُ، أَوْ أَنْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ
حَاجَتَهُ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ، فَأَيْنَ هَذَا
مِنْ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشَّرِكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

وَلِنَحْتِمِ الْكَلَامَ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جَدًّا تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِنْ نُفَرِّدُ لَهَا الْكَلَامَ
لِعَظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَتَقُولُ:

لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ، فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ
مُسْلِمًا.

فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ، كَفِرَ عَوْنُ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَالِهِمَا.

وهذا يغلط فيه كثير من الناس؛ يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكننا لا نقدر
أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى
﴿أَشْرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (التوبة: ٩)، وغير ذلك من الآيات، كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٦).

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا، وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ، وَلَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ
الْخَالِصِ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: ١٤٥).

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملت في ألسنة الناس؛ ترى من يعرف الحق، ويترك
العمل به؛ لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما
يعتقده بقلبه، فإذا هو لا يعرفه.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:



اولاهما: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَدِرُوا فِدْكَفَرْتُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ﴾ (التوبة: ٦٦).

فَإِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوْا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَفْرِ، أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مُدَارَاةٍ لِأَحَدٍ - أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْنُحُ بِهَا.

وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ اِيْمَانِهِ إِلاَّ مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِاِلاِيْمِنٍ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦-١٠٧).

فَلَمْ يَعِدْرِ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلاَّ مَنْ أَكْرَهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِاِلاِيْمَانٍ. وَآمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ اِيْمَانِهِ، سِوَاءَ فَعَلَهُ خَوْفًا أَوْ مُدَارَاةً أَوْ مَشْحَةً بِوَطْنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ، إِلاَّ الْمَكْرَهَ. فَالْآيَةُ تُدَلُّ عَلَى هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ: ﴿إِلاَّ مَنْ أَكْرَهَ﴾ (النحل: ١٠٦)، فَلَمْ يَسْتَنْ اللَّهُ تَعَالَى إِلاَّ الْمَكْرَهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلاَّ عَلَى الْكَلَامِ أَوْ الْفِعْلِ، وَآمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (النحل: ١٠٧) فَصَّرَحَ أَنَّ هَذَا الْكُفْرَ وَالْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الْاِعْتِقَادِ أَوْ الْجَهْلِ أَوْ الْبُغْضِ لِلدِّينِ أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حِظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا؛ فَآثَرُهُ عَلَى الدِّينِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ.

وَالحمد لله رب العالمين، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.